١٤ اكتوبر العدد ٧٠٥٤ - ٥/٤/١٩٨٧م

وجهة نظر

في كتاب "الثقافة في مجتمع متغير"

علوي عبدالله طاهر

صدر الكتاب عن دار الهمداني بعدن عام ١٩٨٤م ويحوي عددا من الدراسات التي كان الكاتب قد نشرها في عدد من المجلات والصحف المحلية ، وتدور معظم موضوعات الكتاب حول الثقافة والمثقفين في الدول النامية والتي تعتبر بلادنا جزءا منها .

ولست في حاجة لعرض الكتاب او بيان محتوياته او تلخيصه فالكتاب قد صدر قبل سنتين تقريبا ، وموضوعاته قد نشرت في الصحف المحلية في فترات مختلفة ، بما يعني ان القارىء ربما يكون قد اطلع عليها او على بعضها .

وعند قراءتي للكتاب استوقفتني بعض الاراء التي اتى بها الكاتب حول الثقافة والمثقفين ، رأيت من الواجب مناقشته فيها ، ليس تطاولا وانما ابداء لوجهة نظر ربما تختلف معه في بعض ما طرح ، وقد نلتقي .. وهذا بالطبع لن يغير من الود شيئا .

يقول الكاتب في مقدمة الكتاب ص ٤ ما نصه :

«وقد تميزت الفترة السابقة من تاريخنا المعاصر بالغياب الظاهر لدور المثقفين ، فقد جاء المثقفون بعد الاحداث وتقدم التغيير الاجتماعي والسياسي ، واصبحت الثقافة متأخرة بمراحل عن الحركة التاريخية للمجتمع.»

انه لايمكن ان نأخذ راي الكاتب كشيء مسلم به ، ذلك ان الاحداث المعاصرة - في بلادنا على الاقل - اكدت ان المثقفين كانوا دوما محركين للاحداث ، فهم الذين هيأوا الظروف الملائمة لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ومهدوا الطريق لبدء الكفاح المسلح في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣م . وهم الذين وجهوا الجماهير وحركوها في كل مراحل النضال الوطني .

لقد استطاع المثقفون ان يفعلوا انفسهم ، ومع الجماهير التي يخاطبونها ، اما عندما فقدوا مصداقيتهم فان الجماهير ابتعدت عنهم ، ولم تعد تكترث بما يقولون لان اقوالهم صارت تخالف افعالهم ، وبالتالي فقدوا قدرتهم على التأثير حتى وان رغبوا في ذلك ، مما أدى الى تقهقرهم وتراجعهم في الوقت الذي ظلت فيه الاحداث تسير بخطى متسارعة فاقت قدراتهم على اللحاق بها . مثلهم كمثل الطفل حين يحرك العجلة بيده ويجري معها ويده ممسكة بها ، حتى اذا ما غفل عنها او تركها فقد السيطرة عليها، اما اذا ظل ممسكا بها فانه قادر على تحريكها وتوجيهها وفقا لمشيئته وفي الطريق التي يريد.

وفي موضوع الثقافة والثورة ص ٧٧ يكرر الكاتب ما قاله في مقدمة الكتاب حين يقول :

«ان المثقفين اليمنيين كانوا اتباعا في عملية التغيير ، معنى يكونوا طلائع متنورين ، معنى ذلك ان الحركة السياسية كانت سابقة ومتطورة عن الحركة الثقافية وان المثقفين كانوا يجيئون دائما بعد الاحداث . » .

انا لا ازعم ان ما قاله الكاتب يتنافى مع الحقيقة ، ولكنني اؤكد ان المثقفين حينما فقدوا زمام المبادرة لم يعد في مقدورهم توجيه الاحداث ولا السيطرة عليها ، فظلوا مترقبين للاحداث التي لا قدرة لهم على تحريكها فاذا ما وقع حدث ما فانه بالضرورة سيكون خارجا عن ارادتهم ، ولن يكون في استطاعتهم تغييره او توجيه مسيرته .

اما كون المثقفين اليمنيين لم يكونوا طلائع متنورين فهذا يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي تؤكد ان المثقفين اليمنيين قد اسهموا في عملية التنوير والتوعيه في مختلف مراحل النضال الوطني

في هذا المجال ، ولم تنفصل الحركة الثقافية عن الحركة السياسية فقد سارتا جنبا الى جنب ، خصوصا حينما التحمت الثقافة بالسياسة .

وعندما التصقت السياسة بالثقافة صار المثقف سياسيا والسياسي مثقفا . ولايوجد انفصام بين الاثنين في الموقفين ماداما يسيران معا وملتحمين . اما اذا تخلف او تراجع أحدهما فانه يعرقل مسيرة الآخر ، ويكون الاثنان عاجزين عن القيام بأي فعل .

وفي البلدان النامية يكون المثقفون - عادة - هم المتراجعون وحينئذ يجدون انفسهم بعد الاحداث .

وفي موضع اخر من الكتاب يقول الكاتب ص ٢٧ ما نصه :

«ان المثقف الذي يعيش في مجتمع من مجتمعات العالم الثالث يمارس مشكلات الحياة الاجتماعية اليومية في شكل تعارض بين ثقافتين ، ثقافة اصيلة وثقافة دخيلة» .

وفي رايي ان مسألة التراث الثقافي الوطني في البلدان التي خضعت للنفوذ الاجنبي - ومنها بلادنا - تختلف عنها في البلدان المتقدمة ، والذي تشهده اليوم ان الاستعمار عمل على ضرب الثقافة الوطنية وطمس معالمها المميزة ، وسعى لتعطيل كل ما من شأنه ان يساعد على تطويرها ومن هنا ظهرت ازمة الثقافة الوطنية في البلدان التي خضعت للاستعمار . لان تراث هذه البلدان مبتور متقطع غير متصل .

لقد استطاع الاستعمار ان يعزل الشعوب التي خضعت لنفوذه عن منابع الثقافة الانسانية التقدمية في العالم

من المثقفين النقالين العاجزين عن التفكير النقدي الابداعي الخلاق لايمتلكون القدرة على الابتكار مهمتهم فقط التنفيذ والاذعان والتنقل . ومن هنا نشأت ظاهرة التعارض بين الثقافتين ، وبروز الثقافة التوفيقية أو الانتقائية .

فالتوفيقيون او الانتقائيون من مثقفي البرجوازية الصغيرة المتذبذبة ، رغم ما ينادون به من تغيير ثوري وما يرفعونه من شعارات ثورية براقة الا انهم في أثناء الممارسة يتحولون الى اصلاحيين .